

العنوان:	الزاوية الحسونية بالريف الأوسط
المصدر:	مجلة أمل
الناشر:	محمد معروف
المؤلف الرئيسي:	طيبي، عبدالرحمن
المجلد/العدد:	مج 8, ع 22,23
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2001
الصفحات:	79 - 84
رقم MD:	413304
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink, AraBase, HumanIndex
مواضيع:	الأسرة الحسونية ، التصوف ، الطرق الصوفية ، الصوفية ، المغرب ، الزاوية الحسونية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/413304



الزاوية الحسونية بالريف الأوسط


* عبد الرحمان الطيبي

تمهيد

يعتبر يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات أول من أرخ للتصوف ورجاله بالمغرب في كتابه " التشوف إلى رجال التصوف ". وقد اهتم المؤلف بصلحاء الجنوب دون الإشارة إلى صلحاء الشمال المغربي، ثم جاء عبد الحق البادسي الذي تناول بالدرس رجال التصوف في شمال المغرب من القرن السادس الهجري إلى القرن الثامن الهجري. ويرجع سبب تأليفه لهذا الكتاب إلى ما غفله الزيات في مؤلفه عن ذكر باقي صلحاء المغرب حيث أشار في هذا الصدد أن :"الحامل له على تأليف ذلك الكتاب ، ما أهمله من تقدم من المصنفين والكتاب، من ذكر صلحاء المغرب الأقصى الذي تتبع ذكر محاسنهم وتقصى، وإن يظن ظان أن صقع المغرب من الأولياء شاغر... فذكر فيه جملة من صلحاء المغرب ... وغفل فيما آثره من الحسن والاحسان، عن الريف الكائن بين مدينتي سبتة وتلمسان"(1).

ولا شك أنه من خلال ما ذكره البادسي في مؤلفه أن وزن فئات الصلحاء والشرفاء كان له أهمية في القبائل الريفية سواء على المستوى الاجتماعي أو على المستوى السياسي.

* أستاذ باحث من الرباط

ومن المعلوم أن منطقة الريف بفضل مواقعها المتحصنة وازدهارها الاقتصادي منذ تأسيس إمارة نكور وبعدها، كانت سباقة إلى احتضان حركة التصوف وتأسيس الرباطات في انتظار ظهور زوايا(2) ، حيث بدأ الإشعاع الديني ينتشر في ربوع القبائل الريفية منذ أن أسس المتصوف أبو داود مزاحم بن علي أول رباط ديني في رابطة ثغلال، الواقعة بساحل قبيلة تمسمان بجوار مدشر آيت بوجبار على طريقة أبي مدين الشافعي، ومن هذه القبيلة بدأ الإشعاع الديني ينتشر في القبائل المجاورة.

وأول من تتلمذ على الشيخ أبي داود هو الحاج حسون الأدوزي {نسبة إلى قرية أدوز} بقبيلة بقيوة(3)، الذي قام باستقطاب السكان وتمكن من تركيز نفوذه الديني وتأسيس زاويته بنفس القرية أدوز، التي أصبحت المركز الرئيسي لتلقين التربية الدينية. وبعد وفاته تمكن تلامذة الحاج حسون وحلفائه من إكمال رسالة شيخهم في رعاية الحركة الدينية بالقبيلة. وتأسيس فروع لها في مجموع تراب القبيلة، خاصة بالهضبة المحيطة بمرسى بوسكور التي توجد بها رابطة تدعى أم أيمن{ للا ميمونة}، والتي ظلت محطة بقيوة الدينية خلال القرنين السادس الهجري والسابع الهجري/الثاني عشر الميلادي والثالث عشر.ومن أبرز رجال الحركة الدينية الذين يمثلون هذا النشاط خلال هذه الفترة نجد على سبيل المثال احمد بن سوسان البوسكوري وعبد الله المساري وغيرهم(4). وهناك بعض الأسماء الأخرى التي كان لها نفس الدور بقبائل بني كميل وبني بوفراح، بالإضافة إلى مدينة بادس التي قام صلحاؤها بدور هام في تنشيط الحركة الصوفية مع بداية القرن 7هـ/13م.

الزاوية الحسونية

يطرح البحث في هذه الزاوية عدة مشاكل مستعصية الحل وتساؤلات والأمر المثير للانتباه أن الزاوية لا زالت موجودة منذ نشأتها في منتصف القرن 6هـ/12م. وتدل الوثائق التي تم جمعها على استمرار نشاطها دون توقف خلال هذه الفترة الطويلة. ويقابل أهمية الزاوية الحسونية قلة الوثائق التي بقيت بأيدي الأسرة الحسونية سواء المقيمة بالحسيمة أو بأدوز. وإضافة إلى ندرة الوثائق نجد أن جلها لم يخرج عن الظهائر السلطانية، والأدهى من هذا أن أغلب الظهائر حرر قبل القرن التاسع عشر. أما ظهائر الفترة المدروسة فهي معدودة على الأصابع ومن الطبيعي أن يسعى الباحث لتعويض ما فاته من الوثائق بالرواية الشفوية. وما يمكن استفادته من المراجع الاسبانية والفرنسية زهيد علاوة على ما يلفه من النقص والغموض. فما هي معلوماتنا عن الزاوية الحسونية وأسرتها ودورها في المجتمع البقيوي؟

الأسرة الحسونية

انصرف اهتمامنا أول الأمر إلى إعادة تركيب التسلسل النسبي ، لشيوخ الزاوية الحسونية من خلال الظهائر السلطانية وغيرها، والواقع أن محاولتنا لم تحقق الغاية المتوخاة إذ عجزنا عن ايجاد التسلسل النسبي المتصل بمؤسس الزاوية الحاج علي بن حسون الأدوزي(5)، والسبب أن الظهائر لا تغطي كل الفترة الممتدة من تأسيس الزاوية إلى بداية القرن الحالي. حقا استخرجنا منها عدة أسماء ولكن تعذر إلحاقها بأصولها السابقة، ذلك أن العديد من تلك الظهائر لا تشير إلى أسماء شيوخ الزاوية بل تذكر فقط أن "السادة المرابطين" هم حفدة الولي علي بن حسون(6).

ويظهر من هذه الظهائر أن الأسرة الحسونية أسرة شريفة النسب، لذلك أكد السلاطين السعديون والعلويون بالخصوص على حرمتها داخل بقيوة وإعفائها من التزامات المخزن. وهذا جدول عن الظهائر التي تلقتها الأسرة الحسونية ونتوفر منها على نسخ مصورة(7).

جدول للظهائر التي تلقتها الأسرة الحسونية :

المصدر للظهير	الدولة	السنة/هـ/م	المستفيدون	الموضوع
عبد الله الغالب بالله	السعدية	دون تاريخ	غير واضح في	هبات أراضي
1574/1557			الأخير اسم يحي	ببقيرة وورغة
			بن سعيد	
احمد المنصور	السعدية	990-1582	جميع المرابطين	الاحترام والتوقير
الذهبي 1578-1603			وأهل زاويةأدوز	
محمد الشريف	العلوية	1071-1660	جميع أهل زاوية	تجديد ظهائر
			أدوز ،حفدةالحاج	الاحترام والتوقير
			علي بن حسون	
المولى اسماعيل	العلوية	1104-1693	- - - - - - -	- - - - - -
المولى اسماعيل	- - -	- - - - - -	عبد العزيز بن	- - - - - -
			ابراهيم	
- - - - - - -	- - - - -	- - - - - -	عبد العزيز بن	- - - - - - -
			احمد	
- - - - - - -	- - - - -		عبد العزيز بن	- - - - - - -
			ابراهيم وعلي بن	
			ابراهيم وعبد	
			القادربن ابراهيم	
- - - - - - -	- - - - -	1105-1694	عبد العزيز بن	- - - - - - -
			ابراهيم وأخوه	
			محمد وأولاد	

			محمد	
-------	-----	1698-1110	عيسى وأخوه مح	-------
			بن علي وحفدته	
			عباس بن محمد	
			بن علي ومحمد	
			بن سعيد بن	
			ابراهيم وعمهم	
			علي عيسى	
--	-----	1969-1111	المرابطون أهل	-------
			أدوز	
-------	-----	1703-1115	المرابط محمد	-------
			بن عبد الله و	
			اخوانه وجميع	
			مرابطي زاوية	
			أدوز	
-------	-----	1708-1120	المرابطون أهل	الاحترام والتوقير
			أدوز	
-------	-----	1710-1122	ابراهيم او موسى	الاحترام والتوقير
-------	-----	1762-1174	محمد بن .. حفيد	-------
			الحاج حسون	
مولاي محمد بن	-----	1774-1188	المرابطون أهل	-------
عبد الله			أدوز	
مولاي عبد الرحمان	-----	1828-1244	المرابطون أهل	-------
بن هشام			أدوز	
مولاي محمد بن	-----	1865-1282	------	-------
عبد الرحمان				
مولاي الحسن بن	-----	1874-1291	------	-------
محمد				
مولاي عبد العزيز	-----	1895-1313	------	-------
بن الحسن				

ملاحظة: يتبين من خلال تتبع الجدول مدى صعوبة التوصل إلى إيجاد التسلسل النسبي المتصل بمؤسس الزاوية الحسونية. وخاصة من الظهائر المتعلقة بالقرن الماضي.

الزاوية الحسونية

لا زالت الزاوية الأدوزية قائمة بنفس المكان الذي أسست فيه على عهد شيخها علي بن حسون ، وقد أقيمت في الجهة اليسرى من قرية أدوز على الطريق

المؤدي إلى حد الرواضي وقبره يوجد بجوار الزاويـــة(8). فـالموقع الــذي اختــير للزاوية يحتل سفح هضبة يبلغ ارتفاعها 552م بين مدشر حرشون في الجهة الشـرقية ومدشر آيت بويذر في الجهة الجنوبية(9)، ويظهر أن تأسيس الزاوية كــان خاضعــا أيضا للممر التجاري المخترق لجبل بويحمد المطل على جزيرة بادس، مع العلـم أن قرية أدوز كانت تعتبر أهم مركز تجاري في القبيلة خلال القرن التاســع عشــر(10) كما أن الممر المتجه نحو الشرق عبر جبل برقوق قد أصبح محطة تأسيس زاويـــة أخرى مثل زاوية "اغبال" الواقعة بقرب وادي ترماست وزاوية بوسكور(11).

إن دارس تاريخ الزاوية الحسونية سيلمس أنها مرت بثلاث مراحل: الأولــى منها هي التي ملأ فراغها الشيخ المؤسس الحاج علي بن حسون المتوفى آخر القـرن 12 م، وهي مــرحلة نشر الطريقة، لأن المؤسس كان رجل علـــم وشــيخ تربيــة صوفية (12)، وقد بلغت الزاوية في عهده أعلى مكانتها ببلاد بقيوة، وعلى الرغم مــن اعتقادنا أن خلفاءه من أبنائه وأحفاده قد حافظوا على تلـــك الدرجــة بشــكل مــن الأشكال، فإن الزاوية قد دخلت مرحلة ثانية تمـــيزت باســتغلال الإرث الصوفــي الموروث عن الشيخ المؤسس.

ومما يلاحظ على شيوخ هذه الزاوية أنهم كانوا من حملة العلوم الدينية، هـذا ما لاحظناه أثناء قراءة الظهائر، فمنهم العالم والفقيه والقاضي، وبتتبع هذه النعـــوت المسجلة بالظهائر نجد أن صيغتها قد انتهت بالظهائر المسلمة للأسرة علـــى عــهد سيدي محمد بن عبد الله، ونشير على سبيل المثال إلى الظهير التالي الذي جاء فيه:
" الفقيه الأجل العالم القاضي، محبنا السيد محمد بن عبد الحق حفيد الولي الصـــالح البركة سيدي الحاج حسون القاطن بزاوية أدوز من قبيلة بقيوة "(13). أمـــا الظـــهائر المتأخرة فتكتفي بذكر " المرابطين أهــل أدوز"(14)، ولــم تزد على ذلك شــيئا مــن النعوت العلمية، ويعني هــذا أن الــزاوية الحسونية كانت آنذاك قد دخلت المرحلــة الأخيرة التي يميزها ظهور "المقدم" على رأس الزاوية. وبالفعل فإنــنا نلاحظ أنـــه لأول مرة ينعت شيخ الــزاوية الأدوزية بالمقــدم منذ ســـنة 1792م. وهــو شــيخ الــزاوية، وفي نفس الوقت ممثل الأســرة الحســونية والمشــرف علــى حقوقــها ومصالحها الدنيوية(15).

وبموجب الظهائر السلطانية كان يترك لشيخ الزاوية حــق التصــرف فــي الأعشار التي توزع داخل الأسرة، عـــلاوة علـــى إعفائــها مــن أداء الواجبــات المخزنية.وهنا كذلك نجد أن المقدم أو شيخ الزاوية مرتبط بالحيـــاة الماديــة فــهو يصرف جل أوقاته في البحث عن أسباب المعيشة على غرار باقي السكان، كما أنــه يستفيد من الزيارات الفردية أو الجماعية الموسمية منــها والســنوية. فــالمعلوم أن سكان بقيوة قد ألفوا عقد موسم تكريما لشيخ بقيـــوة الحــاج علــي بــن حســون الأدوزي(16)، لكن الذي يسترعي الانتباه أن نفوذ هذه الزاوية، ظل منحصــــرا فـــي قبيلة بقيوة طوال هذه المدة، بل وأن سلطتها كانت ضعيفة حتى داخل القبيلة نفســـها

وهذا فسح المجال لشيخي الطريقة الوزانية والخمليشية للتدخل في بعض القضايا الاجتماعية والسياسية للقبيلة(17).

وختاما لا بد من الإشارة إلى شرفاء "تيقيت" وإن لم تكن لديهم زاوية حسبما هو ظاهر إلى اليوم(18). وتيقيت مدشر واقع ضمن فرقة تيكيديت نفسها في الجنوب الغربي من قبيلة بقيوة، ويعود شرف بعض أهلها إلى التجاء حفدة الولي الشيخ أبي يعقوب البادسي إلى الاستقرار هناك(19). ويبدو أن هؤلاء المرابطين كانوا منضوين تحت الزاوية الأدوزية استنادا إلى ما لاحظناه من العلاقة التي تربط الأسرتين. ومن الدلائل التي تشير إلى ذلك وجود موسم سنوي يقام لإحياء عيد المولد النبوي يبتدئ في زاوية أدوز وينتهي بزاوية تيقيت(20).

الهوامش

1 - عبد الحق البادسي: "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف"بتأليف سعيد احمد أعراب، الرباط،1982، ص 14-15.

2 - عبد الرحمان الطيبي: مجلة أمل،عدد 12، الدار البيضاء1997 ، ص 5 -6

3 - تقع قبيلة بقيوة شرق قبيلة بني ورياغل وتمتد أراضيها على شكل شريط ساحلي من وادي ايسلي شرقا إلى وادي بادس غربا، ويحدها من الناحية الغربية قبيلة بني يطفت.

4 - البادسي: صلحاء الريف، ص 91

5 - توفي آخر القرن 6 هـ/12 م .

6 - جاء على سبيل المثال في أحد الظهائر ما يلي : "...يعلم من هذا الكتاب الكريم أننا جددنا بحول الله وشامل يمنته لحملته المرابطين أهل زاوية أدوز بقبيلة بقيوة..." ظهير مؤرخ في سنة 1244هـ -1829م. وثيقة خاصة.

7 - نشكر الأستاذ احمد الحسوني المحامي بمدينة الحسيمة على تفضله بإعطائنا كل الوثائق المتوفرة لديه عن الأسرة الحسونية.

8 - A.Chirelli P 76

9 - مصلحة الخرائط الطبوغرافية ، مقياس 1/100.000 الرباط 1974

10 - A.Moulieras P 91.

11 - A.Chirelli P 76

12 - البادسي: المقصد، ص 63-64

13 - ظهير مؤرخ في 23 صفر 1762/1174 م .وثيقة خاصة

14 - انظر جدول ظهائر الأسرة الحسونية.

15 - راجع الظهير المؤرخ في 23 صفر 1174 هـ.

16 - Chirelli , Monografia de Kabila de Bocoya P 75

17 - مثلا تم تشكيل وفد بقيوي مع أحد الشرفاء الوزانيين الذي توسط بينهم وبين المخزن، نتيجة ما اقترفه أهل بقيوة من مخالفات للأوامر السلطانية، وقد أصدر السلطان مولاي الحسن عفوه عنهم.
رسالة من السيد عبد الله بن ابراهيم الوزاني إلى أخيه سيدي أحميدو الوزاني ، 6 صفر 19/1311 غشت 1893 م .أوردها :
Et-Taybi, Retazos ... P 229

18 - A.Chirelli P 75

19 - نفسه ص 74

20 - نفسه ص 75 .